كلية التراث الجامعة
المؤتمر العلمي السنوي الحادي عشر

مكانة الأدب والأدباء عبر العصور

أ .حازم محمود
كلية التراث الجامعة

المستخلص

لكل أمة حضارة تعتز بها وتتباهى بها بين الامم الاخرى اذ لاتخلو اية حضارة من الأدب باشكاله المتنوعة وبمقدمتها الشعر الذي يعتبر واحدا من اشكال الفن الادبي في اللغة تتصف كلماته وعباراته بالجمالية والبلاغة والحكمة.

تتناول هذه الورقة محاور عدة اهمها تعاريف اللغة وتعاريف الادب و مفهومه لدى مختلف الامم والشعوب في مختلف العصور وعلاقة الادب بالمجتمع وعلاقة الاديب بمجتمعه وكذلك علاقة الادب باللغة وتاثر وتاثير كل واحد منهما على الآخر والنظرة العدائية التي تحملها الكنيسة خلال العصور الوسطى ضد الادب والادباء وخاصة الشعراء حتى انها منعت الناس من قراءة كتب الادب والشعر وامرتهم ان يكتفوا بقرءة الانجيل فقط ولا شيئ غير الانجيل . وتتناول الورقة ايضا مسحا تأريخيا للغة وآدابها عبر الحضارات الشرقية والغربية تبيانا لمكانة الادب والأدباء عبر العصور ومدى اهتمام الشعوب بتراثها الادبي. وتختتم الورقة باهم الاستنتاجات والتوصيات.

Abstract

Every nation has a culture to be proud of. All civilizations consider literature a corner stone of their cultures. Literature has three main forms, namely poetry, prose, and drama. Poetry is art which uses beautiful images and sublime words and eloquent expressions to express an idea.

This paper deals with several items, namely the meaning of literature, the concept of literature among different cultures through different ages, and the antagonistic attitude of the church against literature in general and poetry in particular. The paper also discusses the relationship between literature and society, between literature and language. It also makes a chronological survey which gives us a true picture of the vital role of literature in every civilization, east or west. The paper ends with a conclusion which sums up the important.

مكانة الادب والادباء عبر العصور

مقدمة

الأدب هو وسيلة من وسائل التعبير الانساني الذي يتضمن مجمل مشاعر وعواطف واحاسيس وافكار الانسان وخواطره وهواجسه باروع وارقى شكل من اشكال الكتابة. ويرتبط الأدب باللغة ارتباطا وثيقا وليس الأدب باشكاله التي تتنوع باختلاف المناطق والعصور الا ذاكرة تحفظ نتاجات اللغة المدونة ولا بد للأديب ان يمتلك القدرة على ربط الماضي بالحاضرمن اجل الحفاظ على اللغة وثقافتها من الاندثار والضياع واغنائها بما هوجديد ومفيد لاسيما وان اللغة تشهد دوما تنوعات وتطورات مع مر العصور والازمنة. وان علاقة الادب بالمجتمع علاقة متينة اذ يقول الأديب وليام هازلت "ان ادب اية أمة هو الصورة الصادقة التي تعكس افكارها وتطلعاتها". كما وتشمل علاقة الأدب بالمجتمع علاقة الأديب بمجتمعه وادراكه للأمور التي تجري حوله والمصاعب التي يتعرض لها المجتمع وكشفه للحقائق التي قد تخفى على الافراد بمختلف طبقاتهم.

الغاية

ان الغاية من هذه الورقة هي بيان مكانة الأدب والأدباء عبر مختلف العصور والازمنة وبيان دورهما في اعطاء صورة حقيقية عن عظمة اللغة التي يختصان بها وضروره الاهتمام بهما من اجل ديمومة اللغة واغنائها وتطويرها والمحافظة عليها من الاندثار والضياع.

معنى الأدب

للأدب معنيان معنى عام يدل على كل ما هو مدون في الكتب و المطبوعات وقد يكون لكل مؤسسة او منظمة او شركة ادبياتها الخاصة بها ويقصد بها سياسة تلك المؤسسة في ادارة شؤونها واية تعليمات تخص عمل الموظفين فيها ومعنى خاص يدل على الكلام البليغ الجميل الراقي المدون والمسموع الذي يبعث في نفس المتلقي اللذة الفنية والادبية والاخلاقية.

تعريف الادب

للادب عدة تعاريف انشأها بعض الادباء والمفكرين اجتهادا منهم الا ان هذه التعاريف قد يختلف احدها عن الاخر في المعنى والمضمون الا انها تتطابق جميعا من حيث الفكرة وهي ان الادب بمختلف اشكاله هو عبارة عن عدسة تصور للقارئ مشاهد حقيقية من واقع الحياة. ومن بينها اربعة تعاريف رئيسة لعلها توضح الفكرة وهي:

Literature is an interpretation of life
Literature is the record of impressions
Literature is the brain of humanity
Literature is the exploitation of words

اما التعريف الاول فمعناه ان الادب هو ترجمة لما قد يجري في الحياة من احداث ويعطينا هذا التعريف صورة حقيقية للآحداث التي تجري يوميا في حياة البشراينما كانوا.

اما التعريف الثاني يعني ان الادب هو بمثابة سجل يتم فيه تسجيل المشاعر والانطباعات التي تتولد لدى الكاتب عندما يشاهد مشاهد من الحياة قد تكون مفرحة وقد تكون محزنة ثم تنتقل هذه المشاعر الى القارئ.

والتعريف الثالث هو ان الادب بمختلف اشكاله يعكس ما يجول في خاطر الاديب وما هو موجود في عقله من افكار فعندما نقرأ كتابا مؤلفه ياباني نكون قد تعرفنا من خلال نصوص الكتاب على عقلية الانسان الياباني وطريقة تفكيره وبهذا نكون قد وفرنا على انفسنا عناء السفر الى اليابان للتعرف على الانسان الياباني وطريقة تفكيره.

اما التعريف الرابع معناه ان الاديب بحاجة الى كلمات يستخدمها للتعبير عن الموضوع الذي هو بصدده وان الكلمات بحد ذاتها لا تكفي بل على الاديب الفطن ان يستغل الكلمات ومشتقاتها ويستثمرها من اجل التوسع في شرح جزئيات الموضوع.

وبهذه الطريقة ومن خلال تفعيل التعاريف آنفة الذكر يكون الادب باشكاله (الشعر والنثر والمسرحية) قد ادى المهمة التي وجد من اجلها الا وهي تثقيف القارئ واحاطته علما بما يجري حوله من احداث ووقائع دون ان يكون حاضرا وقت حدوثها, اضافة الى اراء وتعليقات افراد المجتمع حول ذات الموضوع.

فهوم الادب

الأدب هو الأدب مهما كانت اللغة التي يختص بها ولدى كل أمة مفهومها للأدب وفقا لحضارتها. وفيما يلي مفهوم الادب لدى مختلف الامم والشعوب الشرقية منها والغربية عبر مختلف العصور:

مفهوم الادب لدى المجتمعات العربية

قد لايجد الباحث في العصر الجاهلي أي نص يشير الى استخدام كلمة " ألأدب" بمعناه المتداول في الوقت الحاضروكان يفهم من كلمة الادب آنذاك باكثر من معنى فكلمة مأدبة مثلا تعني الطعام وكلمة أدب في العصر الاسلامي تعني التهذيب والتحلي بالاخلاق الحميدة حيث قال النبي محمد ﷺ "أدبني ربي فأحسن تأديبي" صدق رسول الله.

مفهوم الادب لدى المجتمعات الغربية

استخدمت كلمة literature المشتقة من كلمة littera اللاتينية ومعناها " الحرف" ويمكن القول بأن مصطلح "الأدب" literature أو "الآداب" letters فهم منه في العصور القديمة وفي عصر

النهضة renaissance على انه يشمل كل ما هو مدون أي يشمل جميع الكتابات.

الادب في الحضارة الاغريقية

من اشهر رواد وفلاسفة الحضارة الاغريقية سقراط Socrates وتلامذته افلاطون Plato واريسطو Aristotle . لم يترك سقراط كتبا او مؤلفات تتضمن ادبيات تلك الحقبة الزمنية ولكن تلامذته ومن بينهم افلاطون دونوا كل محاضراته وكانت تتضمن فلسفته واراءه حول اهمية اللغة وادابها وضرورة الاهتمام بها تثمينا وتقديرا للمثل العليا التي كانت تحث المجتمعات على اتباعها والتمسك بها والتحلي بالفضيلة virtue والاخلاق الحميدة ونبذ الرذيلة vice ومحاربة الفساد corruption الذي كان مستشريا آنذاك.

وعلى الرغم من ان افلاطون كان يكره الشعر والشعراء ويصفهم في كتابه الشهير Republic بانهم كذابون لانهم يقلدون الاشياء دون الرجوع الى الفكرة والتعرف على اصلها الذي نشأت عنها تلك الاشياء. الا انه يؤيد الشعر التعليمي الاخلاقي didactic poetry ولايسمح للفنانين والشعراء بالدخول في جمهوريته Republic (المدينة الفاضلة utopia) الا اذا كان الشاعر نزيها ونبيلا ويتصف بالمواطنة الصالحة وان يكون عمره فوق الخمسين سنة.

اما بالنسبة لاوريسطو كان يكتب باسلوبين احدهما يسمى exoteric وهو موجه لعامة الناس وهو اسلوب سهل يمكن لعامة الناس فهمه والاستفادة من محتواه والاسلوب الثاني يسمى esoteric وهو موجه للعلماء والفلاسفة والنقاد والمفكرين وغالبا ما تكون لغته صعبة ومعقدة.

وعلى العموم كانت ادبياته ومؤلفاته تتناول موضوعات عدة اهمها التطهير purgation أي تطهير النفس البشرية وذلك من خلال تمثيل مشاهد عنف وقتل واغتصاب من شأنها ان تخلق لدى المشاهد الشعور بالعطف والشفقة على الضحية والخوف من

العقوبة التي ينالها مرتكب الجريمة. والمراد من نظرية التطهير هذه هو محاربة الفساد باشكاله ومنها جرائم القتل والسرقة والاغتصاب وغيرها من أجل خلق مجتمع راقي يعيش في بيئة نقية. كل ذلك منصوص عليه في كتابه الشهير Poetics (في الشعر والشعراء). اما كتاب Politics لنفس المؤلف يتناول طبيعة العلاقة بين الحكومة والشعب فيما يخص الواجبات والحقوق فللشعب حقوق على الدولة اهمها الرعاية والعناية بالفرد الذي هو اساس العائلة فاذا كان الفرد سعيدا كانت العائلة سعيدة واذا كانت العائلة سعيدة كان المجتمع سعيدا.

الأدب في عصر النهضة الاوربية

واجه الادب والادباء في العصور الوسطى هجوما عنيفا على اعمالهم الأدبية من قبل الكنيسة التي اعتبرت الأدب بمختلف نصوصه واشكاله كفرا والحادا ومنعت قرائته وتداوله بين الناس ودعت الى التمسك بتعاليم الكنيسة والانجيل ولايسمح للمسيحيين قراءة أي كتاب ماعدا الانجيل ولا شيئ غير الانجيل لكي تظل الكنيسة والقساوسة مسيطرين على البلاد وخيراتها. ولكن في عصر النهضة اختلفت الصورة وبرز العديد من الادباء والشعراء وانتشرت الكتب والدواوين الشعرية وخاصة عندما طهرت المطابع واصبحت الكتب والمؤلفات بين أيدي عامة الناس. وردا على اتهامات الكنيسة أخذعدد من الادباء والشعراء الدفاع عن الادب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة ومن بينهم الاديب الشاعر السر فيليب سدني Sir Philip Sidney حيث قال في كتابه الموسوم "دفاع عن الشعر" Defence of Poesy او "اعتذار للشعر" An apology for poetry لابد لكل حضارة شرقية او غربية ان يكونلديها ادب وادباء يمجدون حضارتهم ويخلدونها في مؤلفاتهم الادبية والشعرية وكان يطلق على الشاعر في اللغة اليونانية اسم واعظ preacher وكان محترما ومقدسا لدى الناس. اما الشاعر شيلي Shelly كان هو الاخر يدافع عن الادب والشعر حيث يقول في كتابه الموسوم "دفاع عن الشعر" Defence of Poetry الشعراء مشرعون قانونيون يحتلون مرتبة عالية في المجتمع وينبغي الاستفادة من اعمالهم الادبية العظيمة في بناء حضارتهم واعلاء شأن امتهم لتتصدر المكانة العليا بين الامم الاخرى.

الأدب والادباء في عصرالاسلام وقبل الاسلام

يمتاز عصر الاسلام وقبل الاسلام بكونه زاخر بالادباء والشعراء والفلاسفة العرب وغير العرب ولايخفى على الدارسين بان أدب الحضارة الاسلامية تأثر كثيرا بادب الحضارات السابقة وبمقدمتها الحضارة اليونانية. فقد عرف العرب ان حاجتهم الى فلسفات الامم القديمة تفوق حاجتهم الى غيرها من العلوم فاستقوا منها ونقلوا الكثير من نظرياتهم الفلسفية ووظفوها لكي تخدم افكارهم ومعتقداتهم. فأدبيات وفلسفات العرب ليست في الاساس الا فلسفة يونانية متأثرة بنظريات الشعوب الاخرى وقد وضعت بشكل يوافق العقلية الاسلامية. وكان للمترجمين العرب وغير العرب دور عظيم في رفد الحضارة العربية بمختلف العلوم الاجنبية التي وضعت الحضارة الاسلامية في اعلى درجات الرقي علميا وثقافيا وادبيا مما جعل العديد من العلماء والدارسين غير العرب المجيئ الى البلاد الاسلامية والعربية من اجل التزود بكل ما هو جديد زمفيد لشعوبهم واممهم.

الادب في العصر الحديث

كان الادب في عصر ما قبل الصناعة preindustrial age كثيرا وغزيرا الا انه كان محدود الانتشار بسبب قلة وسائل الطباعة ومحدودية وسائل النقل والمواصلات الا انه , أي الادب, تطور وتحسن وتوسع في عصرالصناعة industrial age وبفضل الماكنة والآلة اصبح في متناول الايدي واصبح الاقبال على شراء الكتب والمطبوعات وقرائتها من قبل الناس اضعاف ما كانت عليه الحالة في العصور الوسطى التي كان فيها الادب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة يعتبران من قبل الكنيسة كفرا والحادا واستمر الادب في التقدم والازدهار في المدارس والبيوت وفي مختلف المدن الكبيرة والصغيرة حتى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين المنصرم. اذ يرى النقاد و علماء اللغة وادابها بان الاقبال على شراء كتب الادب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة اصبح محدودا وبدأ يتناقص شيئا فشيئا ولم يعد يوجد من يقرا الكتب في البيوت الا القليل وذلك لاسباب عدة اهمها انشغال الانسان بالعمل ليلا ونهارا من اجل كسب العيش وحتى في المدارس والجامعات لم يعد هناك من يهتم بتحديث المناهج الدراسية لكي تتضمن المزيد من الموضوعات الا دبية بمختلف اختصاصاتها كما كان في السابق وذلك بسبب تقدم

التكنولوجيا واختراع الحواسيب وشبكة المعلومات العالمية (الانترنيت internet) التي من خلالها اصبح الانسان يحصل على المعلومات المطلوبة باقصر وقت ممكن وباقل جهد ممكن. فبدلا من ان يفتح الطالب الكتاب ليقرأه ويفهم معانيه باستخدام فكره وحواسه اصبح يعتمد اعتمادا كليا على الحاسوب (الكومبيوتر) وعلى شبكة المعلومات العالمية. والمسألة لا تقتصر فقط على عزوف الطلاب وخاصة الشباب منهم عن قراءة الكتب والمراجع بل تعدت ذلك الى الحالة التي اصبح الدارس او الطالب لا يحاول ان يكتب عن موضوع ما من ذاته ومن بنات افكاره بل حتى لا يمسك القلم بيده ليكتب بل يأمر كوكل google في الهاتف الجوال او في الحاسوب ليزوده بالموضوع المطلوب مطبوعا على الورق دون ان يكلف نفسه بكتابة المعلومات التي طلبها والطامة الكبرى انه لا يقرأ ما حصل عليه من معلومات بواسطة شبكة المعلومات من اجل ان يضيف عليها بعض الشيء من افكاره الخاصة بل يكتفي بما يحصل عليه. ان استخدام الحاسوب وشبكة المعلومات العالمية امر مقبول بل ضروري بشرط ان يكون للدارس او الباحث المقدرة على تفعيل المعلومات التي يحصل عليها وتطويرها وتحسينها وبخلاف ذلك لا يكون لدينا الا حاسوب وشبكة وطالب جاهل لا حول له ولا قوة.

ان اللغة وادابها عالم بحد ذاته بل يعتبران محيطا واسعا مليئا بالكنوز المادية والمعرفية فما على طالب العلم الا الغوص فيه شخصيا لينهل منه كل ما هو مفيد. ان البحر ثابت في مكانه لايذهب الى صياد السمك (طالب العلم) بل على الصياد ان يذهب اليه. والكتاب يحتاج الى من يقراه والقلم يحتاج الى من يمسكه بيده ليكتب.

العلاقة بين الادب واللغة

قبل الخوض في هذا الموضوع الذي يعتبر موضوعا معقدا بعض الشيئ ينبغي التطرق الى بعض التعاريف التي قد تلقي الضوء على الموضوع.

ان اللغة هي عبارة عن مجموعة من الاشارات والرموز التي هي اساس المعرفة. وقد عرف القدماء اللغة بانها اصوات او اشارات او حركات بدنية يعبر بها كل انسان عن اغراضه وهذا التعريف يجرنا الى الاعتقاد بان اللغة في العصور القديمة لم تكن مدونة او مكتوبة بل كانت تقال شفهيا ولا تكتب spoken, not written لعدم مقدرة الناس حينئذ على الكتابة ولم تكن الكتابة آنذاك موجودة اساسا.

ان اللغة المكتوبة, اية لغة كانت, هي عمود المعرفة بمختلف علومها بل وهي خادمة للعلوم فبدون اللغة المدونة لا وجود للعلوم.

اما بالنسبة للأدب وعلاقته باللغة هو موضوع يجرنا الى السؤال الى أي منهما ظهر الى الوجود قبل الآخر، اللغة اولا ثم الادب ام بالعكس؟ ان الجواب على هذا السؤال يخدمنا في مسالة التعرف على تأثر وتأثير كل واحدا منهما على الآخر. فمن الناحية العقلية والعملية اللغة ظهرت الى الوجود اولا ثم تبعها الادب ولكن بعد حين. فالادب هو ابن اللغة الآم ويمكن القول بان اللغة هي الروح والادب هو الجسد. وكذلك اللغة هي مجموعة كلمات لايستطيع أي اديب او شاعر او كاتب ان يعبر عن الموضوع الذي يجول في خاطره بدون الاستعانة بهذة الكلمات. وبناء على هذا الرأي يمكن القول بان اللغة تؤثر في الادب ايجابا او سلبا حسب الكلمات المستخدمة من قبل الكاتب وكذلك الادب يؤثر في اللغة ايجابا او سلبا اذا كانت الكلمات المستخدمة في النص الادبي جميلة وبليغة ومؤثرة بحيث تجعل اللغة من خلالها ان تظهر باعلى درجات الجمال و الرقي والعظمة وخير مثال على ذلك دواوين الشعراء العرب وغير العرب التي تصور وتمجد باللغة التي يختصون بها,

الاستنتاجات Conclusion

يمكن استنباط بعض الاستنتاجات من موضوع هذه الورقة المتواضعة واهمها ان للادب والادباء مكانة عظيمة في كل عصر من العصور وفي كل حضارة من الحضارات شرقا وغربا ولاتوجد اية حضارة على وجه البسيطة بدون لغة مدونة وبدون ادب وادباء . فالادب باشكاله الرئيسة (الشعر و النثر والمسرحية) هو عبارة عن وسيلة فعالة من وسائل المحافظة على مجد وعظمة اللغة التي هي تراث الامم والشعوب, والعلاقة بين الادب واللغة علاقة وثيقة لا وجود لاحدهما بدون الآخر ويتأثر الواحد منهما بالآخر كما ويؤثر احدهما على ا لآخر من خلال الكلمات المستخدمة فيهما.

استمرت عظمة الادب والادباء حتى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين الى ان ظهرت الوسائل الالكترونية كالحاسوب و الهاتف الجوال وشبكة المعلومات العالمية internet التي سهلت الامر على الدارسين والباحثين وطلاب الجامعات في الحصول على المعلومات المطلوبة باقل وقت وجهد ممكنين. ولكن الى جانب ايجابيات هذه الوسائل الالكترونية هناك سلبيات لها اهمها ان اقبال الدارسين والباحثين وطلاب الجامعات على شراء الكتب ومطالعتها في البيت او في المدرسة اصبح قليلا بسبب اعتمادهم اعتمادا كليا على هذه الوسائل الالكترونية. فضعفت قابلياتهم الادبية والمعرفية الى مستوى ملحوظ. اما لجوء طلاب العلم الى القلم من اجل كتابة أي موضوع اصبح بالنسبة لهم عملا شاقا استعاضوا عنه بكوكل Google الذي اصبح عبدا مطيعا لهم في كل مكان وزمان.

ان اللغة هي الروح والادب هو الجسد ولايمكن بأي حال من الاحوال فصل احدهما عن الآخر. فعلى الامم والشعوب الشرقية والغربية التي تعتز بلغتها وتراثها الادبي الاهتمام باللغة التي هي عماد حضارتها وثقافاتها ذلك لأن اللغة تخدم العلوم بكافة اختصاصاتها وتحافظ عليها من الاندثار فلا وجود للعلوم بدون لغة مكتوبة وفي نفس الوقت الادب باشكاله الرئيسة المعروفة يحافظ على عظمة اللغة كما هو الحال في لغتنا العربية المجيدة التي حفظها ويحفظها القرآن الكريم من الاندثار والضياع من الآن الى يوم الدين.

التوصيات

بناء على ما تقدم يوصي الباحث بضرورة اهتمام القائمين على شؤون العلم والمعرفة في البلد باللغة وآدابها لانها حجر الاساس الذي تبنى عليه حضارة وثقافة بلدهم ولابد من اعادة النظر في المناهج العلمية والادبية والتربوية المعتمدة حاليا في اروقة الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس, فقد لوحظ خلال الثلاثة عقود المنصرمة بأن اكثر الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات لا يحسنون التحدث او الكتابة بلغتهم العربية وفيهم من لا يحسن حتى كتابة اسمه الثلاثي. وعليه ينبغي على وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي اعادة النظر في منهاجها العلمية والتربوية المعتمدة حاليا والاكثار من المواد الدراسية التي تخدم الغرض المنشود في هذه الورقة المتواضعة.

وفق الله تعالى المسؤولين في هذا المجال والاخذ بأيديهم الى النجاح والفلاح بما يخدم وطننا العزيز ولغتنا المجيدة. والله من وراء القصد

المصادر References

المصادر العربية: Arabic References

[1]احمد أمين النقد الادبي , 1967

[2]د. محمد يوسف نجم, ,مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق , 1967

[3]د ناصر الحاني , المصطلح في الادب الغربي , 1968

قاموس المورد

قاموس الوافي

قاموس المصطلحات الادبية الاجنبية

شبكة المعلومات العالمية (google)

المصادر الاجنبية: English References

D.J. Enright, English Critical Texts, 1962.

James Reeves, The Critical Sense, 1959.

J.B. Wilson, English Literature, A suvey, in English Literature, 1965

Peter Westland, Literary Appreciation, 1950

T,S, Dorseb, Classical Literary Criticism, 1967

L.G. Alexander, Poetry and Prose Appreciation, 1966